

الرسائل العشر

[28] يحصل لدينا من كلام كل من ترجم للسيد المرتضى أنه كان مزيتان بارزتان:

إحديهما، المقام العالي والمكانة المرموقة، وذاك المجد والرئاسة والعزة والظاهرة وثنائتهما، إلمامه بكل علوم عصره وتبحره في الفنون والمعارف المتداولة في زمانه وبهذا كان السيد يعتبر ذا المجدين كما أن الميز البارز الذي أحرزه استاذة الشيخ المفيد حسب ما اعترف به كل من كتب عنه، هو القدرة في البحث والمناظرة والغلبة على الخصم في مضمار الجدل والكلام. ويبدو من مطاوي تراجم كثيرة في " تاريخ بغداد " تأليف الخطيب البغدادي، المعاصر للسيد المرتضى، أن العلماء والادباء والشعراء كانوا يترددون على السيد لقضاء حوائجهم وحل معضلاتهم ومشاكلهم العلمية لديه، وكانوا يكونون له احتراماً بالغاً. و جدير بالذكر أن الخطيب البغدادي مع إيراده لأمثال هذه المذكرات عن السيد في تضاعيف التراجم كثيراً، قد اكتفى في ترجمة السيد الخاصة به بكلام موجز عنه في سطور (64) ولقد جاء في مراثية يرثى بها أبو العلاء المعري، أبا أحمد الحسين بن موسى النقيب، والد المرتضى و الرضي المتوفي عام 400 هـ أبيات خص بها المعري هذين الاخوين، البالغين حين ذاك أوج الشهرة ومنتهى العزة وهي هذه: أبقيت فينا كوكبين سناهما * في الصبح والظلماء ليس بخاف متأنقين وفي المكارم ارتقا * متألقين بسؤدد وعفاف قديرين في اليرداء بل مطرين في الا * جداء، بل قمرين في الاشداف رزقا العلاء فأهل نجد كلما * نطقا الفصاحة مثل أهل ديار ساوى الرضي المرتضى وتقاسما * خطط العلاء بتناصف وتضاف (65) نعم... وكما يقول أبو العلاء: فإن الشريف الرضي كان شريكا لآخيه المرتضى في جميع الفضائل إلا أن الخبراء وأهل الادب: يقدمونه على المرتضى في صناعة الشعر. وكيف كان فهذان الاخوان أصبحا شمسين مضيئتين في الاندية الادبية والعلمية في بغداد في عصرهما الذي يعتبر من أرقى الادوار العلمية والثقافية في تاريخ الاسلام لكن السيد الرضي فارق الحياة شابا عام 406 هـ وترك أخاه وكل العلماء وأدباء عصره مصابين في فراقه. حتى إن المرتضى لشدة تأثره على أخيه ومن ثقل المصيبة عليه التجأ إلى حرم _____ (64) - لاحظ تاريخ بغداد ج 11 ص 402. (65) - لاحظ شروح سقط الزند السفر 2 القسم 3 ص 1297 فما بعدها، وروضات الجنات ص 575 نقلا عن ابن خلكان.